المحاضرة السابعة: الاتصال البيداغوجي.

يمثل الاتصال البيداغوجي الجسر الذي يربط بين المعلم والمتعلم لنقل المعرفة وتسهيل الفهم. إذ يهدف هذا النوع من الاتصال إلى تحقيق التعلم الفعال من خلال تبادل الأفكار والمعلومات بطرق واضحة ومنظمة، مما يساعد على تعزيز التفاعل داخل البيئة التعليمية، لذا سنقدم في هذه المحاضرة نظرة شاملة حول الاتصال البيداغوجي من حيث المفهوم، الخصائص، الأهمية، عوامل نجاحه....

1- تعريف الاتصال البيداغوجي:

تقوم عملية التعليم والتعلم على التفاعل بين المعلم والمتعلم، حيث يكون كلاهما في وضعية تواصل تهدف إلى تحقيق التعلم. في السياق التعليمي، تسعى هذه التفاعلات إلى تحقيق هدف مشترك، وهو اكتساب المتعلمين للمعرفة والمهارات .فمن جهة، هناك المتعلمون الذين يسعون إلى تطوير قدراتهم، ومن جهة أخرى، يوجد المعلمون الذين يمتلكون هذه المعرفة ويتقنونها، مما يجعلهم مرجعا للمتعلمين في رحلتهم التعليمية.

نتيجة لذلك، يكون المتعلم في موضع المتلقي، بينما يكون المعلم في موضع المقدم للمعرفة .بالإضافة إلى ذلك، حتى لو كان المتعلم قادرًا على تحديد هدفه التعليمي، فإن المعلم وحده هو القادر على تحديد محتوى التعلم واحتياجاته، وفي النهاية تقييم جودة التعلم .لذلك، يمكن القول إن وضعية الاتصال التربوي غير متكافئة بين "المعلم" و"المتعلم(Zerraf, Zain, Khyati, , Tridane & Belaaouad,2019,p1)

في هذه المحاضرة، سنركز على أحد الجوانب الأساسية في العلاقة التربوية، التي سلطت البيداغوجيا الحديثة الضوء عليها باعتبارها عنصرا جوهريا في أي وضعية تعلم حقيقية، وهو **الاتصال البيداغوجي**.

يُعرّف كان-كاليك وكوفاليف (Kan-Kalik & Kovalev, 1987) الاتصال البيداغوجي على أنه **نظام من التقنيات والأساليب** التي تضمن تحقيق أهداف العملية التعليمية وتوجيه النشاط البيداغوجي. كما يسهم في **تنظيم** وتوجيه الأفراد المشاركين في عملية الاتصال بين المعلمين والطلاب.

من جانبه، شدد ليونتييف (Leont'ev, 1979) على أهمية خلق مناخ نفسي إيجابي داخل بيئة الاتصال البيداغوجي، ما دفعه إلى تعريفه كنمط من التواصل المهني بين المعلمين والطلاب، سواء داخل الفصل الدراسي أثناء المناقشات الصفية أو خارجه. ويُعتبر هذا النوع من الاتصال جزءًا أساسيًا من العملية التعليمية، حيث يؤدي دورًا بيداغوجيًا فعالًا في تعزيز العلاقة بين المعلم والمتعلم، من خلال توفير مناخ نفسي إيجابي يساعد على تحقيق التكيف النفسي داخل الفصل الدراسي.(CAUBE, 2024,p1167)

يعرّف جون ديوي John Dewey الاتصال في التعليم على أنه عملية تبادل الخبرات بين شخصين أو أكثر، بحيث تصبح هذه الخبرات مشتركة بينهم، مما يؤدي إلى إعادة تشكيل أو تعديل المفاهيم والتصورات السابقة لكل طرف مشارك في هذه العملية(Ghaciri,2023,668) .

وعليه فإن الاتصال البيداغوجي هو شكل من أشكال وسيرورات ومظاهر العلاقة التواصلية بين المدرس والتلاميذ أو بينهم أنفسهم، يتضمن نمط الإرسال اللفظي وغير اللفظي، كما يتضمن الوسائل التواصلية والمجال والزمان، وهو يهدف إلى تبادل أو تبليغ ونقل الخبرات والتجارب والمواقف مثلما يهدف الى التأثير على سلوك المتلقي.(بروال، 2014، ص90)

كما أنه عملية رسمية هادفة تتعلق بإرسال رموز أو رسائل شفوية كانت أو كتابية، يتم من خلالها نقل رسائل تعليمية من مرسل (المعلم) إلى متلقي (المتعلم) لإيصال المعرفة وخلق استعدادات لدى المتعلمين وإجراء تغيير أو تعديل في مكتسباته (معلومات) أو سلوكه أو اتجاهه عن طريق جملة من الطرائق البيداغوجية.(بن شرطان وبشلاغم، 2019، ص783)

2-أشكال الاتصال البيداغوجي:

يتخذ الاتصال البيداغوجي عدة أشكال تسمح للمعلم باستخدام استراتيجيات متنوعة تتناسب مع احتياجات الطلاب وأنماط تعلمهم المختلفة والتي بدورها تسهم في تحقيق التفاعل الفعال، وإيصال الرسائل التعليمية بطرق أكثر وضوحا وتأثيرا، وفيما يلي عرض موجز لهذه الاشكال:

2-1-الاتصال اللفظي :

يستخدم المعلم الكلام كوسيلة أساسية في العملية التعليمية والتدريبية، حيث تعد اللغة اللفظية، سواء المنطوقة أو المكتوبة، الأداة الرئيسية لنقل المعرفة.

2-2-الاتصال التماثلي :(Analogic Communication)

أثناء التحدث، يقوم المعلم بتغيير نبرة صوته، وتعديل إيقاعه الصوتي، والتحرك والتفاعل جسديًا حيث يستخدم المعلم مجموعة واسعة من الإشارات غير اللغوية لأغراض تعبيرية وتواصلية، حيث لا يجد الطلاب صعوبة في تفسيرها. وتشمل هذه الإشارات التنغيم، المنحنى اللحني للصوت، إيقاع الحديث، بالإضافة إلى الإيماءات ووضعيات الجسد، واستغلال المساحة .

2-3-الاتصال السمعي-الكتابي-البصري:

يعتمد المعلم بشكل متكرر على الوثائق الصوتية والبصرية، مثل المخططات والرسوم البيانية والصور والشرائح والفيديوهات والأفلام، بالإضافة إلى البرامج الحاسوبية والوسائط المتعددة لدعم العملية التعليمية. (Zerraf, Zain, Khyati, , Tridane & Belaaouad,2019,p1)

3-أهداف الاتصال البيداغوجي:

يهدف الاتصال البيداغوجي إلى تحقيق مايلي:

- تعلم فعال بين المعلم والطلاب، حيث لا يقتصر التعلم الفعّال على تحصيل الطلاب فقط، بل يشمل عملية التعلم ذاتها، والتي يُتوقع أن توفر للطلاب فهماً عميقاً، وفرصًا للتطبيق، وتأثيرًا على سلوكهم ليتمكنوا من استخدامه في حياتهم اليومية.
- تطبيق المعلم لمبادئ التواصل البيداغوجي يؤدي إلى تحسين جودة العملية التعليمية داخل الفصل.
- يركز الاتصال البيداغوجي على العلاقة الوظيفية بين المعلم والطلاب والتي تؤثر إيجابيا على إنجاز الطلاب الأكاديمي، دافعيتهم للتعلم، وقدرتهم على التكيف الاجتماعي والعاطفي.
- فهم احتياجات الطلاب ومعرفتهم بشكل أعمق
- التفاعل والاستجابة لمساهمات الطلاب
- مشاركة الخبرات والتجارب التعليمية معهم (Suyatno,Urbayatun,Maryani, Putra ,Dwi ,2019,p p 39,40)

4-عوامل نجاح الاتصال البيداغوجي:

من أجل ضمان تواصل فعال وناجح، ينبغي الالتزام بعدد من المبادئ الأساسية، من بينها:

- وضوح الرسالة :يجب أن تكون خطوط الاتصال والتواصل واضحة وسهلة الفهم بالنسبة للمرسل إليه، حيث إن الغموض والإبهام يؤديان إلى سوء الفهم ويعيقان سير العمل.
- إيجاز المعلومات :ينبغي أن تكون خطوط الاتصال والتواصل قصيرة، بحيث تقتصر المعلومات على الحد الذي يمكن استيعابه دون تحميل المستقبل عبئًا زائدًا من التفاصيل غير الضرورية.
- التفاعل الثنائي :لضمان فعالية الاتصال، يجب أن يكون التواصل مزدوج الاتجاه، مما يسمح بالاسترجاع والتأكد من استيعاب المستقبل للرسالة من خلال ملاحظة ردود فعله.
- بيئة داعمة للتواصل :يتطلب الاتصال الفعّال توفر جو من الحرية والاطمئنان، مع مراعاة عدم تعارض ذلك مع القوانين والتشريعات المنظمة.
- الاختصاص والسلطة :ينبغي أن يكون موضوع الاتصال والتواصل ضمن نطاق اختصاصات المرسل، وفي حدود السلطات المخولة إليه، مع التركيز على المعلومات والحقائق المهمة.
- القيمة المضافة للمعلومات :يجب أن تحتوي الرسالة على معلومات جديدة ومفيدة للمستقبل، بحيث تكون ذات صلة بمجال عمله أو اهتماماته.
- **توضيح المفاهيم** :يتعين شرح المعلومات الفنية والمصطلحات غير المألوفة من خلال مقارنتها بمفاهيم معروفة لتسهيل الفهم والاستيعاب.(بوحنيكة،2024، ص321)

بالإضافة إلى المبادئ الأساسية لنجاح الاتصال، هناك ستة عوامل تعد جزءًا أساسيًا من عملية الاتصال ونجاحه وهي:

- الدافعية :تلعب الرغبة في التفاعل والتواصل دورا أساسيًا في تحقيق تعلم ناجح.
- التركيز :يضمن الانتباه إلى تفاصيل الرسالة وصول المعلومة بدقة، وتعزيز جودة الفهم والاستيعاب.
- التفاعل :يساهم التفاعل النشط بين الطلاب والمعلمين في خلق بيئة تعليمية إيجابية.
- التنظيم :يساعد ترتيب الأفكار والمحتوى على تحسين الاستيعاب وزيادة فعالية الاتصال.

- الفهم :أن يتناسب المحتوى التعليمي مع مستوى إدراك الطلاب، لضمان استيعابهم.
- التكرار :يعزز تكرار المعلومات بطرق متنوعة من ترسيخها في الذاكرة واسترجاعها عند الحاجة.

عندما يطور المعلم مهاراته في التواصل، ينعكس ذلك إيجابيًا على أدائه البيداغوجي، حيث تتحسن لديه بعض المهارات الخاصة وتزداد كفاءته على التواصل مثل:

- الحساسية الاجتماعية :القدرة على فهم مشاعر الطلاب واحتياجاتهم.
- التواصل اللفظي غير العنيف :استخدام أساليب الحوار الهادئ بعيدا عن النقد السلبي أو التصعيد.
- إدارة النزاعات بشكل تكاملي :تبني استراتيجيات لحل النزاعات بطرق توازن بين احتياجات الجميع.
- الانخراط في التفاعل: تشجيع الطلاب على المشاركة الفعالة والتفاعل المستمر . (Suyatno,Urbayatun,Maryani, Putra ,Dwi ,2019, p 39)

5- معيقات الاتصال البيداغوجي:

يقصد بالمعيقات كل ما من شأنه أن يحيد أو يعطل أو يؤخر من عملية التواصل بين أطراف العقد البيداغوجي، أو هي تلك المؤثرات التي تقف حائلًا أمام تبادل المعلومات والمعارف والمشاعر بين المصدر (المرسل) والمستقبل (المرسل إليه).

وتماشيا مع مرتكزات العملية التعليمية الثلاث: المرسل (المعلم)، والمرسل إليه (المتعلم)، والرسالة (البرامج والمناهج التعليمية)، هناك من صنفها إلى عوائق مرتبطة بالمرسل، عوائق مرتبطة بالمرسل إليه، وعوائق مرتبطة بالرسالة.

قد تكون العوائق في ذات المرسل أو كامنة في نفس المتلقي، مثل الاضطراب والشعور بالحرج والخجل وعدم الإحساس، وغيرها. وقد تكون وجدانية، متمثلة في مشاعر جاذبة أو منفرة، في مقدمتها تأثر المرسل (المعلم) بشخصيته ورمزيته وهيئته، مما يرغب أو يصرف عملية التواصل من بدايتها.(خنفر وبوزبيد،2022، ص 389)

كما يمكننا ذكر بعض العوامل التي تؤثر في نجاح الاتصال البيداغوجي وتعيق سيرورته وهي كالاتي:

- المعوقات الشخصية، والتي تنشأ من مجموعة من العوامل، أهمها ما يتصل بالنواحي النفسية والعاطفية، والأحكام والانفعالات والقيم الاجتماعية للأفراد، التي قد تؤدي إلى تباعد سيكولوجي بين المعلم والتلاميذ.
- ضعف فاعلية وسيلة الاتصال المستعملة في نقل الرسالة، إذ أنها لا تتفق والظروف المحيطة بالاتصال.
- عدم القدرة على التعبير بوضوح عن معنى مضمون الرسالة، وترجع هذه الاختلافات في الشخصية بين الأفراد إلى الخبرة والخلفية الثقافية.
- سوء العلاقات وفقدان الثقة بين بعض عناصر الاتصال .
- التباين في المستوى والإدراك، ويرجع ذلك إلى تباين مستويات الثقافة والمعرفة والإدراك والخبرة، وهذا يؤدي إلى أن المشارك في الاتصال يعجز عن تحليل وفهم رموز الرسالة ومضمونها بصورة مناسبة.
- محدودية رد الفعل، مما يجعل الاتصال وكأنه في اتجاه واحد، لذا فإن أحد المبادئ الرئيسية في الوصول إلى هدف الاتصال هو إنشاؤه كخط اتصال ذي اتجاهين.
- الشرود الذهني وعدم الانتباه، الذي يحدث نتيجة لمؤثرات خارجية كالتشويش والضوضاء وارتفاع درجة الحرارة وشدة البرودة أو تثار المنبهات والاهتمامات، أي عدم القدرة على التركيز بسبب الاهتمام بأمور أخرى.(الدلفي،2016،ص223)